المتغيرات الحديثة في لغتنا الجميلة

أ. جمال حسين حسن شمس الدين آل الهادي

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة المتغيرات الحديثة في لغتنا الجميلة ، التي لفتت انتباه الإنسان العربي منذ أنْ بدأ الإنسان في التخاطب والتعامل والمشافهه وقد ذكر القرآن الكريم.

وقد جاءت في القرآن الكريم ألفاظ أعجمية أصلها غير عربي ، فأصبحت من المُعَرَّب في القرآن الكريم .

وكما قال الدكتور صبحي الصالح : . « ورد في القرآن كثير من مُعَـرَّبات الجاهلية » ،

حتى قال ابن جرير « أنَّ في القرآن من كل لسان » .

وقد أشار الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بظهور العامية بجانب الفصحى ، وكذلك ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان « باللغة الحرفية التي يستخدمها الحرفيين في حرفهم الصناعية » .

وظهور التطورات الحديثة في اللغة العربية هي الارتقاء باللغة لتكون مستوى الفكر والحياة والمجتمع.

ويرى المفكر المغربي علال الفاسي ، بأنَّ الأصل في اللغة أنْ تتغير وتتطور وتنمو لكونها مؤسسة للتفاهم بين الناس والتعبير عن عواطفهم وخلجات أفكارهم .

فاللغة العربية أصبحت لغة العلم والتعليم والمستقبل و لازالت حتى الآن لغة العصر ،

كما كانت سابقا اللغة الأولى في النشر والتعليم والثقافات في المجتمعات العربية والغير عربية حتى أنها كانت تدرس في المدارس الأعجمية بغرض التحصيل العلمي فهي الأم للعلوم العربية الرائدة في ذلك الوقت .

لغة المعرفة والتقنية فصارت اللغة العربية لغة التقانة وبين العناصر الثقافية والتعليمية والحضارية والاجتماعية هو تفاعل قائم ملموس،

فهي تعبر عن فكر عصري وتساهم في خلق هذا الفكر العصري ،

هذه هي لغتنا الجميلة التي ستبقى خالدة مع خلود القرآن الكريم حيث تعهد الله عز وجل شأنه فقال تعالى :. « إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون »

سيحفظ الله هذا القرآن وهي ستبقى معه اللغة العربية خالدة بخلوده،

وهذا هو بحثي آمل أنْ ينال التقدير والاستحسان من القائمين في المؤتمر الدولي الرابع ،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،،

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة : .

الحمد لله المنعم المتفضل الذي وسعت رحمته عباده والصلاة والسلام على النبي الذي بعثه الله عز وجل شأنه مبشرا ونذيرًا وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي علم الإنسان وأنزل كتابه للهداية والبيان وحيث انَّه أول ما أمر به المصطفى صلى الله عليه وسلم بالقراءة حيث قال الله تعالى في كتابه المبين (اقرأ باسم ربك الذي خلق× خلق الإنسان من علق × اقرأ وربك الأكرم × الذي علم بالقلم × علم الإنسان ما لم يعلم) سورة العلق الآية ١-٥

والذي لولاه ما جرى قلم ، ولا تكلم لسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد كان أفصح فصحاء العرب وكان أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا وحجة وحيث أنَّه قال صلى الله عليه وسلم : . (أنا أفصح العرب بيد أنِّي من قريش).

ولا شك فيه أنَّ اللغة العربية تحتل

مكانة عالية بين اللغات العالمية لأنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة واللغة العربية هي الجامع بين أبناء المسلمين عرب أو غير عرب ، وكما أنَّها تحمل لغة الآداب والعلوم الإنسانية والفنون ، ومن يملك مهرها يملك عظمتها في التعبير عن المعاني وحجم مساحتها التعبيرية وقدرتها على توليد معانيها البليغة الهائلة ، والتوسع فيها حتى تصل على لغة الإعجاز ومنْ عرف عظمتها اطلع عليها وتعمق في أحشائها وذاق حلاوتها وعذوبتها وهي كنز عظيم في شتى مجالات الحياة

وقد قال الشاعر الراحل حافظ إبراهيم :.

أَنَا البَحْرُ في أَحْشَائه الدُّرُ كَامنٌ
فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتي

وقد شرَّف الله عز وجل شأنه اللغة العربية بأنْ نزل القرآن الكريم بهذه اللغة العظيمة وقد تعهد الله على حفظ القرآن الكريم وحفظ القرآن الكريم من حفظ الله العربية .

أتقدم بداية بجزيل الشكر والامتنان لجميع أعضاء مجلس الاتحاد الدولي للغة العربية على دعوتهم الكريمة للمشاركة وخدمة اللغة العربية في المؤتمر الدولي الرابع ، متمنيا التوفيق والنجاح الدائم لهذا اللقاء العلمي . وقد سبق لي المشاركة في المؤتمر السابق الذي نظم في دبي.

ومن هذا المنطلق يشرفني أن أشارك معكم بهذا العمل علَّه ينال استحسانكم ورضاكم بعد الله عز وجل شأنه لخدمة لغتنا الخالدة التي هي لغة القرآن الكريم ولغة التألق في مختلف المجالات في تأريخ الأمة ، وأقدم لكم هذا العمل تحت عنوان ـ المتغيرات الحديثة في لغتنا الجميلة

تعريف اللغة ،المعرَّب في القرآن (المتغيرات اللغوية في القرآن الكريم)، ظهور العامية بجانب الفصحى، اللغة الحرفية، التطورات الحديثة، لغة العصر الحديث، لغة العلم والتعليم والمستقبل، لغة المعرفة التقنية، تحديث اللغة .

راجيا من الله أنْ يسهم هذا العمل في إسباغ لمحة ضمن سلسلة البحوث المعنية بهذا المؤتمر.

والله ولي التوفيق والنجاح ،،

أما بعد :.

لفتت اللغة العربية انتباه الإنسان منذ أن بدأ استعمالها ، ولعلَّ إشارة القرآن الكريم إلى أنَّ الله قد قال في محكم آياته (وعَلَّمَ آدمَ الأَسماءَ كُلَّها ...) سورة البقرة الآية ٣١ ، وأنَّ الملائكة سلَّموا بأنهم لا يعلمون إلا ما علمهم الله سبحانه وتعالى ، لعلَّ هذه الإشارة هي أول لفت انتباه إلى اللغة ، ومن يومها والتفكير في اللغة لم ينقطع .

وتعيش اللغة العربية في العصر الحاضر غربة بين أهلها ولعلنا أحوج ما نكون إلى البحث عن حلول ناجحة وتفكير سديد في طرح الحلول من شأنها أن ترقي بهذه اللغة مرة أخرى خاصة وأنَّ شيوع الألفاظ الأعجمية على ألسنة المثقفين والتداول بها يضعف من إمكان عودة اللغة العربية إلى قوتها الطبيعية .

وبذل الجهود في مواجهة الآثار السلبية للعولمة التي من شأنها أن تضعف من الوسائل التي تعمل على ضعفها .

واللغة العربية في هذا المجال شأنها شأن اللغات الأخرى التي تتعرض لغزو اللغة الإنجليزية عبر تقنيات المعلومات ، فمناهج التعليم التي تبقى لسنوات عدة مقرونة بكتاب واحد تتسبب في عرقلة النهوض بالفرد وحاجته لاستخدام لغته للتعبير عن احتياجات العصر .

هناك كثير من العوامل العصرية التي دخلت على اللغة العربية وأثرت بها . فالعلوم والتقانة والنقل من لغة إلى أخرى حيث انتقلت كثير من المفردات المفيدة المعبرة عن دلالات حديثة يحتاجها العصر في مختلف مجالات المعرفة ...

أما يطلق عليها الحضارة الحديثة . وواجهت اللغة العربية التحديات قديما وحديثا ، وواجهت أيضا ما يحك حولها من تحديات عابرة مثل دخول من غير العرب بالإسلام وتحريفهم للنطق العربي في بعض الأصوات اللغوية أو النزاعات القومية والعنصرية واليهودية ، أو ما قام به العثمانيون في إتباع سياسة التتريك للدول العربية في عهد الدولة العثمانية عند بسط نفوذها في العالم العربي . أو سيطرة العولمة أو العالمية حديثا على العالم كله .. في مجالاته المتعددة بما فيها اللغة التي تأثرت كثيرا بوجود ألفاظ من جذور غير عربية .

إن المد الحضاري والتأثير والتأثر بين الحضارات قديما وحديثا ووجود الكثير من الألفاظ الأجنبية في القرآن الكريم كل هذا يعتبر من أكبر التحديات التي واجهت اللغة العربية قديما وحديثا.. وهي لغة القرآن الكريم الذي عاش بها وعاشت به فحفظ كل منهما الآخر وهي القوية قوة جهد الله في حفظ القرآن وقد تعهد الله عز وجل شأنه بحفظ القرآن الكريم حيث قال :. « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون « سورة الحجر الآية (٩).

وقد مرت اللغة العربية بمراحل التهذيب والنقد والضعف حتى وصلت إليه في انتمائها كفرع من فروع أو لغة من اللغات الأسرة السامية .

« إنَّ هذا الكون الواسع يزخر بالأسرار التي يحاول الإنسان منذ وجد على هذه الأرض أنْ يكشفها ، ولكن أقربها إلينا أسرار هذه الأرض التي نعيش عليها ، ولا ريب أنَّ أهم من يدب على ظهرها هو الإنسان ، وأنَّ اللغة هي أهم مظهر من مظاهر سلوكه . إذن فهي ، أكثر من غيرها ، بل وقبل غيرها ، جديرة بالدراسة ، والبحث ما دامت مرتبطة بالإنسان إلى هذا الحد « (١).

ويقول الثعالبي : « أنَّ من أحبَّ الله أحبَّ رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم . ومن أحبَّ الرسول أحبَّ العرب. ومن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم. ومن أحبَّ العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، غذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر المناقب كالينبوع للماء، والزند للنار . ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا يحسن أثره، ويطيب في الدارين ثمره» (٢).

تعريف اللغة :ـ

يعرف ابن جني (ت ٣٩٢) اللغة بأنها « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم « (٣).

كما يتفق مع التعريفات التي قدمها المحدثون من علماء اللغة ، وربما يزيد عليها الدقة والإيجاز ، والشمول ، وعدم التركيز على جانب دون آخر ،

ويعرف العالم الأمريكي إدوارد سابير (أنَّ اللغة : ـ وسيلة إنسانية خالصة ، وغير غريزية إطلاقًا ، لإيصال الأفكار ، والانفعالات والرغبات ، بواسطة نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية) (٤) .

ويقول العالم الأمريكي اللغوي وورف : (إنَّ اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل إنها نفسها هي التي تشكل تلك الأفكار) (٥).

واللغة هبة طبيعية خص الله تعالى بها الإنسان وميزه عن سائر الحيوان لتكون سبيله إلى عبادة الله وإلى معرفة خلقه . (٦).

واللغة أكثر طرق الاتصال الإنساني استخداما فهي رسالة متبادلة بين مرسل ومستقبل كلاهما من البشر . (٧).

(المعرَّب في القرآن الكريم) المتغيرات اللغوية في القرآن الكريم :ـ

وقد جاء القرآن الكريم بألفاظ غير عربية فأدخلت في العربية فأصبحت عربية. ونقل السيوطي عن جمهور إنكارهم وقوع شيء في القرآن الكريم بغير لغة العرب . قال : ((قال الجمهور : ليس في كتاب الله – سبحانه – شيء بغير لغة العرب، لقوله تعالى : (إنا جعلنه قرءنا عربيا) سورة الزخرف الآية (٣) ، وقوله تعالى:ـ « بلسان عربي مبين» سورة الشعراء الآية (١٩٥) وأدَّعى ناسٌ أنَّ في القرآن ما ليس بلغة العرب، حتى ذكروا لغة الروم والقبط والنبط)) (٨) .

ومن الذين أنكروا وقوع المعرَّب في القرآن الكريم أبو عبيدة معمر بن المثنى، فقد روي أنَّه قال: ((من زعم أنَّ في القرآن لسانًا سوى العربية فقد أعظم على الله القول)) (٩).

غير أنَّه احتاط للمسألة عندما أشار إلى توافق بعض ما ورد في القرآن من ألفاظ عربية مع ألفاظًا أعجمية،

فقال ((وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناها واحد، وأحدهما بالعربية، والآخر بالفارسية أو غيرها. قال : فمن ذلك الإستبرق، وهو الغليظ من الديباج ، وهو استبره بالفارسية أو غيرها)) (١٠).

وشبيه برأي أبي عبيدة هذا ما أورده ابن الأنباري في قوله : ((وقال بعض المفسرين :. (صرهُنَّ) معناه : قطع أجنحتهن وأصله بالنبطية صِرِّية من الآية في قوله تعالى « فخذ أربعة من الطير فصُرْهُنَّ إليك « سورة البقرة الآية (٢٦٠). ويحكى هذا عن مقاتل بن سليمان : فإن كان أثر هذا عن أحد الأئمة، فإنَّه مما اتفقت فيه العرب ولغة النَّبَط ، لأنَّ الله جلَّ وعزَّ لا يخاطب العرب بلغة العجم، إذ بَيَّن ذلك في قوله جلا وعلا « إنَّا جعلنه قرءنا عربيا لعَلَّكم تعقلون « (١١).

((وقال أبو عبيدة : والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أنَّ هذه الحروف أصولها عجمية، كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب، فأعربتها بألسنتها، وحولتها عن ألفاظ العجم على ألفاظها، فصارت عربية، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال أنها عربية ، فهو صادق. ومن قال عجمية، فهو صادق)) (١٢) .

ومن المؤكد – في رأينا – أنَّ وقوع المعرَّب في القرآن الكريم لا ينتقص من عربيته، ولا يلحق به صفة العجمة. قال تعالى « ولو جعلنه قرءانا أعجميا لقالوا لولا فُصلت ءايته ءاعجمي وعربي قل هو للذين ءامنوا هدىً وشفاءٌ» سورة فصلت الآية (٤٤).

لقد أنزِّل القرآن الكريم بلغة يفهما العرب ويستعملونها، وما وقع فيه من المعرَّب إنما هو جزء من هذه اللغة التي فهموها واستعملوها، خضع لقواعدها صوتًا، ووزنًا وإعرابًا، واستقرَّ فيها مألوفا مكتسبا عروبتها، شاهدًا في الوقت نفسه على حيويتها، وانفتاحها، وقدرتها على التواصل والنماء .

ويقول الشيخ الدكتور صبحي الصالح، رحمه الله: ((وورد في القرآن كثير من معرَّبات الجاهلية، حتى قال ابن جرير: ((في القرآن من كل لسان)). (١٣) .

ظهور العامية بجانب الفصحى :-

وقد أشار الجاحظ إلى التمايز اللغوي في عصره ، ونقل عن بشر بن المعتمر، رئيس معتزلة بغداد (المتوفى سنة٢١٠ هـ) إشارته إلى اللفظ العامي والخاصي ، وقوله في صحيفة البلاغة المشهور: ((فإن أمكنك أنْ تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أنْ تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطفُ عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام)) (١٤). وفي هذه إشارة إلى أنَّ العامية كانت قد ظهرت وانتشرت قبل ذلك الوقت .

صحيح أنَّ كفة العامية تبقى هي الراجحة وخصوصًا في برامج التسلية والمنوعات، والمسلسلات المحلية، وبرامج الحوار السياسي، والأغاني، ولكن الفصحى ليست خاسرة في نهاية المطاف لأنَّها المسيطرة . إذ هي تنال في هذه الوسائل حصة أكبر بما لا يقاس من حصتها في الحياة اليومية .

اللغة الحرفية :-

وأشار الجاحظ أيضا إلى ألفاظ الصناعات والمهن، وألفاظ العوام، فقال : ((ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها، بعد امتحان سواها، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أنْ كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعات. وقبيح بالمتكلم أنْ يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة، أوْ رسالة، أوْ في مخاطبة العوام، والتجار، أوْ في مخاطبة أهله، وعبده، وأمَته، أو في حديثه إذا تحدَّث، أوْ خبره إذا أخبر، وكذلك فإنَّه من الخطأ أنْ يجلب ألفاظ الأعراب، وألفاظ العوام، وهو في صناعة الكلام داخل. ولكل مقام مقال . ولكل صناعة شكل)) (١٥).

التطورات الحديثة :.

١ ـ لا يكون معنى تطوير اللغة تيسير النحو وتبسيط القواعد فحسب، وليس معناه أيضا نقل الألفاظ والتعابير الجديدة عن اللغات الأجنبية ، بل هو تيسير اللغة وتطويرها، بحيث تقترب من اللغة المتداولة في المجتمع حتى تواكب اللغة تطور الحياة ومتغيرات العصر.

وهذا الربط بين إصلاح أحوال المجتمع وبين تطور اللغة، في تلك

المرحلة المبكرة من عشرينيات القرن الماضي، يثبت لنا أنَّ الوعي بضرورة مواجهة التحديات التي تحاصر اللغة العربية، ليس وليد اليوم في عصر العولمة، وأنَّ إصلاح اللغة هو جزء لا يتجزَّأ من إصلاح المجتمع ، وأنَّ اللغة تعبر عن حال المجتمع، وأنَّ المجتمع هو الذي يطور اللغة ويجددها ويجعلها تحيا وتساير المتغرات.

والذي نقصد إليه فهو الارتقاء باللغة لتكون في مستوى تطور الفكر والحياة والمجتمع ، بحيث تصير اللغة منتجة ولا تظل مستهلكة، وحين تنتج اللغة تصبح دافعا للتقدم في الميادين جميعا.

وفي هذه الحالة تتخطى الحواجز التي تمنعها من الاندماج في العولمة، وحينما تستهلك اللغة وتأخذ ولا تعطي، يضعف مركزها وينتهي بها الأمر إلى الإفلاس.

(فتطوير اللغة العربية ضرورة من ضرورات تطوير الحياة العامة في العالم العربي الإسلامي، لأنَّ التجديد إنما يبدأ من اللغة، وبناء المستقبل يقوم على أساس تحديث اللغة حتى تكون لغة المستقبل.

وليس بخاف أن تنمية اللغة تكون بتفعيل نموّها الطبيعي، حتى تتغير وتتطور وتنمو. فإذا جمدت اللغة وانكمشت، ضمرت وضعفت وفسدت. لأنّ في جمودها فساداً لها. وفساد اللغة فسادٌ للمجتمع.

وإن مما لاشك فيه أن اللغات تتطور وتنحط، وتتقدم وتتأخر بحسب درجة الناطقين بها من الرقي الحضاري والتقدم الاجتماعي، ولذلك فهي ليست ظاهرة اجتماعية فحسب، ولكنها مرآة مجلوة لتسجيل درجة الوعي الحضاري لدى متحدثيها. وليست اللغة من وجهة أخرى، مجرد ظاهرة اجتماعية كما يتمثلها علماء الاجتماع، وإنما هي أداة تعبيرية طيّعة حية تبلغ ذروتها حين يعمد الناطقون بها إلى التماس الجمال الفني في تعبيرهم بها، وفي التألق في انتقاء ألفاظها عبر نظامها الصوتي والتركيبي، مما يجعل من تعابيرهم، لوحات فنية من النسوج الكلامية تروق سامعها، وتبهر قارئها)(١٦).

٢. وفي المشروع اللغوي الذي تقدم به الشيخ عبد القادر المغربي (علامة الشام من أصل جزائري) إلى المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق حالياً)، في سنة ١٩٢٧، تحت عنوان (الكلمات غير القاموسية)، يلفت النظر اختياره عدداً من الكلمات لاعتمادها من قبل علماء اللغة بإدخالها المعجم العربي، من مثل فعل (تبدّى) بمعنى ظهر، و(خابره) بمعنى راسله، و(تفرّج) على الشيء، و(احتار) في أمره، و(تنزّه) في البستان، وكلمات اصطلاحية فنية وإدارية كقولهم (هيئة المحكمة)، و(تشكيل المحاكم)، و(انعقدت الجلسة)، و(تعريفة الرسوم)، و(ميزانية)، و(كمية)، و(كيفية). ويقول العلامة عبد القادر المغربي مخاطباً زملاءه أعضاء المجمع العلمي العربي : (أرجو من رفقائي أن يجوزوا استعمال هذه الكلمات، ولاسيما أنها كلمات اصطلاحية كما قلنا، ولكل قوم اصطلاحهم) (١٧).

ولقد اعتمدت اليوم كما نعلم هذه الأفعال والكلمات، فدخلت المعاجم العربية المعاصرة، ولم تعد تثير أي إشكال. كذلك اعتمدت الأساليب والتراكيب التي اقترحها العلامة عبد القادر المغربي في مشروعه والتي كانت قد تسربت إلى لغتنا مترجمة عن اللغات الأوروبية، وهي مما لا يعرفه العرب الأقدمون، مثل (ذرّ الرماد في العيون)، و(عاش ستة عشر ربيعاً)، و(وضع المسألة على بساط البحث)، و(لا جديد تحت الشمس)، و(ساد الأمن في البلاد). لم يعد أحد ينازع اليوم في جواز استعمالها (اللهم إلاّ الذين أصيبوا بالوسواس اللغوي)، كما قال علامة الشام في تلك الفترة.

وهذا التطوير للغة والتجديد لأساليبها وتراكيبها، إذا نظرنا إليهما من خلال مستوى المعارف اللغوية التي كانت سائدة في الثلث الأول من القرن العشرين، نجد أنهما كانا عملاً رائداً شجاعاً أضاف جديداً إلى اللغة العربية.

ويرى المفكر المغربي علال الفاسي (أنَّ الأصل في اللغة أن تتغير وتتطور وتنمو، لكونها مؤسسة للتفاهم بين الناس، والتعبير عن عواطفهم وخلجات أفكارهم، فمتى نما الفكر واختلفت الحاجة وبرز الإبداع، نمت اللغة واختلفت، ووجب العمل على تنميتها والإبداع فيها، ولا يمكن الجمود أو الانقطاع عن الاجتهاد، لأن من صفات

العلم البحث عن المجهول واستخراجه واكتناه الحقيقة، ومواكبة المستجدات. وليس مشكل اللغة ومواءمتها للحاجات وقفاً على اللغة العربية، بل إنه مشكل جميع اللغات) (١٨).

لغة العصر الحديث : ـ

(إنَّ القضايا التي تواجهها اللغة العربية في العصر الحديث، هي قضايا طارئة تفرضها متطلبات العصر من ناحية، وقرون التراجع الحضاري التي مرت بها أمتنا في مسارها التاريخي من ناحية أخرى، وليست قضايا لغة تواجه استيعاب ما وصلت إليه المعارف الإنسانية في أول تجربة لها ؛ فقد اجتازت العربية هذه التجربة في تاريخها الطويل عندما كانت اللغة الأولى للعلم والفكر في العالم أجمع، ولعدة قرون. فكما للغات الأمم قضاياها، فإن للغة العربية قضاياها أيضاً، وليست متفردة بذلك من دون اللغات، بل ربما كانت قضاياها أقل عسراً للمعالجة، إذا ما صدقت النوايا وتوافرت الإرادة في خدمة العربية وإنماء الاعتزاز بها، والإيمان بقدراتها، ووضع لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، في مكانة الشرف والاحترام الذي تستحقه) (١٩).

(..وكذلك تواجه لغتنا العربية قضايا مهمة في هذا العصر الذي يتصف بتفجّر المعرفة في جميع مجالاتها، ويتميّز بهذا التسارع الضخم في تطور العلوم على الأرض، وفي الفضاء الخارجي، وإن هذه القضايا تتعلق بتيسير تعليم العربية ولا تمسّ إطلاقاً إعرابها وصرفَها ونظم تراكيبها، لأن هذه من الثوابت التي بدونها تفقد اللغة مقومتها الأصيلة. فالعربية ثابتة من حيث نطقها ونحوها وصرفها، ولكنها نامية من حيث أساليبها ومفرداتها ودلالات ألفاظها. وهذه هي الخصائص التي تنفرد بها العربية من بين جميع اللغات في العالم) (٢٠).

يقول الدكتور عبد اللّه الطيب، رحمه الله : (لابد في العمل إلى إعادة اللغة العربية إلى بعض ما كان لها من مكانة في حفظ الثقافة والعزة القومية والمعارف الإسلامية، من إعادة النظر في أمر تعليم اللغة العربية تعليماً صحيحاً ييسر بغرض التفهيم، لا بغرض تجاوز العزائم إلى الرخص، والرخص إلى اللحن، واللحن إلى العُجْمة وشبه العُجْمة. ولا يكون التعريب الحق باستخدام ألفاظ أعجمية وجمل أعجمية ونصوص أعجمية حروفُها وبعض نطقها وتركيبها كأنه عربي، إنما يكون التعريب الحق بأداء عربي الروح عربي الأسلوب مبين) (٢١).

وبذلك نرتقي باللغة العربية إلى المستوى الذي تتمكن فيه من التعامل الإيجابي مع تحديات العولمة في الحاضر وفي المستقبل.

لغة العلم والتعليم والمستقبل : ـ

يتطلب أن تصبح اللغة العربية لغة منتجة للعلم، لتتبوأ المكانة الرفيعة بين لغات العالم. ويوم أنْ كانت العربية في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، لغة للعلم بمدلوله الدقيق الشامل، ارتقت إلى الذروة، وحازت قصب السبق بين اللغات العالمية، حتى صار طالب العلم من أي ملة أو عرق كان، يتخذ من العربية وسيلة لاكتساب العلوم والإحاطة بها والتبحر فيها.

(ولا ريب أن مستقبل اللغة العربية يرتبط باستخدامها المتزايد والجادّ في شبكات المعلومات العالمية. إن تقنيات المعلومات شهدت تحوّلاً هائلاً من أجل تيسير إتاحة المعلومات عبر الحدود والقارات والحضارات، وتقوم حالياً ـ في غالب الأحيان ـ على اللغة الإنجليزية. وهناك جهوداً أوروبية قوية تتم لجعل الإتاحة (؟) أيضاً- باللغات الأوروبية الكبرى، وفي مقدمتها الألمانية والفرنسية والإسبانية. ولن يمرّ وقت طويل حتى نجد العربية قد اتخذت مكانها في شبكات المعلومات عبر الحدود. وهذا الأمر يتطلب جهوداً كثيرة على المستوى اللغوي، وعلى مستوى تقانات المعلومات، وعلى مستوى دراسة المستفيدين حتى نجد الجامعات والوزارات والمجامع في الدول العربية تتعامل باللغة العربية. وهذا أحد تحديات المستقبل القريب، لتكون العربية مع اللغات العالمية الكبرى بوصفها وسيلة لنقل المعلومات بالتقانات المتقدمة) (٢٢).

(إنّ مستقبلنا العلمي والحضاري مرتبطان بقضية تعريب العلم والتعليم، فلا يعقل أن نخوض مجالات العلم الحديث ونواكب تقاناته وننعم بمنجزاته، وتبقى لغتنا غريبة عن أجواء العلم وديناميكيّته وتقنياته وإبداعه. لقد آن أن تصبح اللغة

العلمية جزءاً من حياتنا اليوميّة في المدرسة والبيت والمصنع، وأن تغدو الثقافة العلمية جزءاً من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحافي والأديب وصاحب الاختصاص الفني) (٢٣).

لغة المعرفة التقنية :-

(إنّ التفاعل بين العلم والتقانة وبين العناصر الثقافية والتعليمية والحضارية والاجتماعية، هو تفاعل قائم وملموس، كما أن ارتباط سياسة العلم والتقانة بالسياسة الثقافية هو بدوره ارتباط وثيق وملموس. وهذا ما ينفي الدور الحيادي للعلم والتقانة، لأن المعرفة العلمية والتقانية للبنية الطبيعية والإنسان والمجتمع، تساعد على بلوغ الأهداف الوطنية المحددة داخل خطط التنمية الوطنية) (٢٤).

(ونخلص من ذلك إلى التأكيد على حتمية استعمال اللغة العربية كأداة لتبليغ التقانة لتأمين مستقبل لغتنا، ولتأهيلها لتتبوأ المكانة اللائقة بها بين اللغات الحية. وينبغي أن لا نغفل حقيقة أخرى ستساعد ولاشك اللغة العربية على احتلال هذه المكانة في المستقبل، وهذه الحقيقة تتجلى في كون اللغة العربية في حاجة إلى مسايرة العصر، حتى تعبر عن فكر عصري، وتساهم في خلق هذا الفكر العصري. وعلى هذا الأساس، فنحن مدعوون إلى تذليل كل الصعوبات التي تقف في طريق اللغة العربية، سواء أكانت صعوبات جوهرية يُتغلّب عليها بإعادة النظر في قواعدها، أم صعوبات أساساً متعلقة بتطوير الكتابة والشكل والطباعة) (٢٥).

(إنّ العلم يرتكز على اللغة كوسيلة اتصال، وإننا نوسّع اللغةَ إذْ نوسّع المعرفة العلمية) (٢٦) (ولغة العلم هي لغة تواصل، كما أنها أداة تصوّر العالم أيضاً، وتعطي الصورة العلمية للعالم. ومن ثم فإن اتساع اللغة رهن باتساع النشاط المعرفي العلمي في المجتمع بعامة، هذا وإلاّ ظلت لغة العلم، كما يقول الباحث شوقي جلال، نوعاً من الميتافيزيقا بالنسبة للمجتمع) (٢٧).

وممّا لاشك فيه أن ازدهار اللغة العربية في هذا العصر، وفي كل العصور، مرهون بازدهار العلوم والتقانة، حتى تصبح العربية لغة البحث العلمي في هذه الحقول جميعاً. فاللغة تنمو وتتطور وتزدهر بنمو الأمة التي تنتمي إليها والناطقة بها وبتطورها وبازدهارها.

تحديث اللغة :-

في ظل هذا الواقع الذي تعيشه اللغة العربية، وهو واقع يؤلم النفس، يتعيّن علينا استشراف المستقبل والقيام بحركة فاعلة ومنتجة على الصعيد اللغوي، لوضع الأسس لبناء المستقبل اللغوي الحديث.

في سنة ١٩٩٧ عقد مجمع اللغة العربية بدمشق ندوة حول موضوع (اللغة العربية : معالم الحاضر وآفاق المستقبل)، كان من محاورها محور يختص بمستقبل اللغة العربية : (دراسة وسائل تحديث اللغة العربية واستغلال الإمكانات التقانية، ومنها الحاسوب، والمجهر وأدوات القياس وجهاز العرض المرئي لتستطيع هذه اللغة مسايرة التطور العلمي والتقاني المتسارع). ومما يلفت النظر في التوصيات الصادرة عن الندوة أنها تخلو من التركيز على مستقبل اللغة العربية بالقدر الكافي.

فاللغة العربية هي العروة الوثقى التي تجمع بين الشعوب العربية والشعوب الإسلامية التي شاركت في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية. وبهذا الاعتبار، فإن الوفاق العربي والتضامن الإسلامي، لابد أن يقوما على هذا الأساس المتين، لغة القرآن الكريم، ولغة الثقافة العربية الإسلامية. ومن هنا تبدو الأهمية الكبرى لتدعيم مكانة اللغة العربية والعمل على نشرها وتعليمها لغير الناطقين بها من الشعوب الإسلامية، لأن في ذلك حمايةً للأمن الثقافي الحضاري للأمة العربية الإسلامية.

من خلال هذه الرؤية، يتأكد لنا أن اللغة العربية قضيةُ وجود، وقاعدة كيان، ودعامة النظام العربي الإسلامي الذي يستند إلى مرجعية العمل المشترك المتمثلة في جامعة الدول العربية، وفي منظمة المؤتمر الإسلامي. فهي إذن، قضية من القضايا ذات الثقل الكبير والتأثير العميق في حاضر الأمة ومستقبلها.

(والحق أن دور مصر بخاصة، في مجال تجديد رسالة اللغة العربية ودعم كيانها في المجتمعات العربية الإسلامية، هو دور بالغ الأهمية، ذلك أن من شأن إصلاح اللسان العربي في مصر، عبر مؤسساتها التعليمية الرائدة ووسائل إعلامها النافذة الواسعة الانتشار، أن يُسهم الإسهام القوي المؤثر في تحسين

وضع اللغة العربية في البلدان العربية والإسلامية كلّها) (٢٨).

(فاللّغة هي أهمّ الروابط المعنوية التي تربط الفرد بغيره، لأنّها واسطة التفاهم بين الناس، وآلة التفكير عند الفرد، وواسطة نقل الأفكار والمكتسبات من الآباء إلى الأبناء، ومن الأسلاف إلى الأخلاف. وإذا كانت الأمة التي تنسى تاريخها تكون قد فقدت شعورها وأصبحت في حالة سبات، تستطيع أن تستعيد وعيها بالعودة إلى تاريخها، فإن الأمة إذا فقدت لغتها تكون عندئذ قد فقدت الحياة) (٢٩).

ولا مستقبل لأمة فرطت في لغتها، وليس في المستطاع مواجهة تحديات العولمة بلغة لا تتوافر لها شروط المواجهة.

وفي الختام :-

تعد اللغة العربية من اللغات الباقية والخالدة حيث قال الله سبحانه وتعالى : - (إنَّا نحن نزَّلنا الذِّكر وإنا له لحافظون) سورة الحجر الآية ٩ .

فهي باقية ببقاء وخلود القرآن الكريم إلى يوم الدين ، فقد تعهد الله عز وجل شأنه بحفظ القرآن الكريم من أي تحريف أو تزييف أو تغير أو الزيادة أو النقصان . وهي اللغة التي أنزل القرآن على سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وقد شرفها الله عزو جلَّ شأنه بأنْ نزل القرآن بهذه اللغة المختارة منه .

وقد قال الشاعر والأديب الراحل : حافظ إبراهيم رحمه الله: -

وَسِعْتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً
وما ضقت عن آيٍ به وعظات

واللغة العربية كائن حي تخضع لتقلبات وتغيرات الزمن نتيجة التطورات والأحداث التي تطرأ عليها كبقية اللغات.

وكما أنَّ اللغة العربية الفصحى وقفت بصمودها في وجه هذه الحملات الشعوبية الاستعمارية خيبت آمالهم ، وهذا الكلام لا يعجب بالتأكيد ورثة هؤلاء الشعوبيين في بعض صحفنا ، بما فيها تلك الموسومة أحيانا بالتقدمية .

ونستخلص من قولنا أنه في حين يتفق اللغويون على أنَّ الوصول إلى مستوى لغوي راق ورفيع للأمة ، إنما هو مسؤولية الجميع : - المنزل والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام والحكومة والمجامع اللغوية والأندية والمؤسسات التقافية التعليمية . ويبقى الدور الأهم والأساسي وهي وسائل الإعلام المرئية وغير المرئية في دورها البارز والمتميز في شتى الميادين وحيث أنَّها هي المهيمنة والمسيطرة على كافة جماهير الناس جميعًا محليًا ودوليًا وعالميًا. فيقع على عاتقها دورا مهما وبارزا نشر الفصحى أكثر مما هي عليه الآن ومستقبلا أفضل تكون فيه أوسع انتشارًا.

وفي الختام أشكر المولى عز وجل شأنه أنْ ساعدني في المشاركة بهذا العمل المتواضع لخدمة اللغة العربية ، في المؤتمر الدولي للغة العربية ٤، وأشكر الشيخ محمد بن راشد المكتوم الذي عني بهذا المؤتمر ووضع جُلَّ اهتمامه لخدمة لغة الضاد .

وقد قال تعالى : - (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب) سورة هود الآية ٨٨

فإنْ وفقت فالتوفيق من الله عزوجل وإنْ أخطأتُ فإنَّ الخطأ مني.

المراجع :-

(-) سورة الحجر الآية (٩).
(-) سورة الزخرف الآية (٠٣).
(-) سورة الشعراء الآية (١٩٥).
(-) سورة البقرة الآية (٢٦٠).
(-) سورة فصلت الآية (٤٤).
(١) ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ص ١٦ . د. نايف خرما.
(٢) ـ فقه اللغة وسر العربية ،للثعالبي القاهرة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤م
(٣) ـ الخصائص لابن جني . وتحقيق محمد علي نجار حـ ١ صـ ٣١ طبعة دار الكتب المصرية
(٤) ـ Edward sapir، Language، New York Harcourt، ١٩٢١، p.٧.
(٥) ـ محاضرات علم اللغة للدكتور خضر عريف
(٦) ـ محاضرات علم اللغة للدكتور خضر عريف
(٧) ـ محاضرات علم اللغة للدكتور خضر عريف
(٨) ـ السيوطي : المزهر ٢٦٦/١
(٩) ـ الجواليقي : المعرب : ٤ ، وابن فارس الصاحبي : ٩٥، والسيوطي : المزهر١/٢٦٦
(١٠) ـ السيوطي : المزهر ٢٦٦/١
(١١) ـ الأضداد، لابن الأنباري، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
(١٢) ـ السيوطي: المزهر ٢٦٨/١
(١٣) ـ دراسات في فقه اللغة ، للدكتور صبحي الصالح ، وأشار الدكتور محمد أسعد النادري في كتابه فقه اللغة مناهله ومسائلة صـ ٣٢٣ ،المكتبة العصرية ، صيدا- بيروت .
(١٤) ـ البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤ ، دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ .
(١٥) ـ كتاب الحيوان : للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣ ، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت ١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م.
(١٦) الدكتور عبد الملك مرتاض، التعدّدية اللغوية فخ جديد لتمزيق الهوية الوطنية، مجلة (العربي)، العدد (٥٠٠)، صفحة (٢٧)، أكتوبر ٢٠٠٠ م، الكويت.
(١٧) ـ نشر هذا المشروع ضمن كتاب (رسائل الأستاذ الرئيس محمد كُرد عليّ إلى الأب أنستاس ماري الكرملي)، صفحة ١١٣، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ٢٠٠٠ م، بتحقيق وتقديم وتعليق حسين محمد العُجيل. ومما يجدر ذكره هنا أن العلامة محمد كُرد عليّ، على جلال قدره، قد أحال هذا المشروع على صديقه علامة العراق الأب أنستاس ماري الكرملي، ليقول رأيه فيه، قبل طرحه على المجمع للتداول في شأنه.
(١٧) التربية والتعليم واللغة عند علال الفاسي، للدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، ضمن كتاب (في رحاب فكر علال الفاسي)، مؤسسة علال الفاسي، الرباط، ٢٠٠٠ م.
(١٩) الدكتور عبد الكريم خليفة، العربية لغة البحث العلمي والتعليم الجامعي على مدرج القرن الواحد والعشرين، ضمن كتاب (قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب)، صفحة ٣٦٣، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٣ م.
(٢٠) المصدر السابق، صفحة ٢٦٤.
(٢١) د. عبد الله الطيب، مشكلة الأداء في اللغة العربية، (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق)، المجلد(٧٣) الجزء (٣) صفحة ٥٣٧، يوليو ١٩٩٨ م.

(٢٢) الدكتور محمود فهمي حجازي، اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق)، المجلد (٧٣)، الجزء (٣)، يوليو ١٩٩٨ م.

(٢٣) الدكتور أحمد شفيق الخطيب، منهجية بناء المصطلحات، مجلة (اللسان العربي)، العدد (٥٢)، الجزء (٣)، صفحة ٥٣٧، الرباط، يوليو ١٩٩٨ م.

(٢٤) الدكتور حمزة الكتاني، الحرف العربي أداة تبليغ التكنولوجيا، ضمن كتاب (الحرف العربي والتكنولوجيا)، صفحة (٩٤)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٨م.

(٢٥) المصدر نفسه، صفحة (٩٨).

(٢٦) فيرنرهايزنيبرج (عالم الفيزياء)، الفيزياء والفلسفة، ترجمة الدكتور أحمد مستجير، المكتبة الأكاديمية، صفحة (١١٩)، القاهرة، ١٩٩٣ م.

(٢٧) شوقي جلال، أزمة ترجمة المصطلح : كيف يكتسب بعده الاجتماعي، مجلة (العربي، عدد (٤٧٥)، الصفحة (١٢٠)، الكويت، يوليو ١٩٩٨ م.

(٢٨) الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، مستقبل اللغة العربية، الصفحات : ٥٧ - ٥٤، مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ، الرباط، ٢٠٠٤ م.

(٢٩) د. عبد العزيز الدوري، مجلة (المستقبل العربي) العدد (٢٤٤)، صفحة (٧٨)، بيروت، يونيو ١٩٩٩م.jcomments off